إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إنّها سَكِينَةُ المَدِينَةِ

تأليف
د. محمود بن محمد المختار الشنقيطي
الداعية بمركز الدعوة والإرشاد بمكة المكرمة
عضو المجلس العلمي بالمشروع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إنّها سَكِينَةُ المَدِينَةِ

تأليف
د. محمود بن محمد المختار الشنقيطي
الداعية بمركز الدعوة والإرشاد بمكة المكرمة
عضو المجلس العلمي بالمشروع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ح مؤسسة مكة المكرمة الخيرية – مكتب المدينة الاقليمي، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشنقيطي، محمود محمد المختار
إنها سكينة المدينة: معنى سكينة المدينة- أسبابها – كيف نحافظ عليها./ محمود محمد المختار الشنقيطي.- المدينة المنورة ١٤٢٩هـ
٨٠ ص؛ ١٤×٢١ سم
ردمك: ٩-٠-٩٠٠٣٨-٦٠٣-٩٧٨
١- فضائل المدينة المنورة أ. العنوان
ديوى ٩٥٣,١٢٢ ١٤٢٩/٤٣٣٥

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٤٣٣٥
ردمك: ٩-٠-٩٠٠٣٨-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(الحمدُ للهِ الذي شرّف طابَة، وشَوّقَ القُلوبَ لسَمَاعِ أَخْبارِها المُسْتَطَابة، واخْتارَها لحَبيبِه الذي اجْتَبَاهُ وعَظَّمَ جَنَابَهْ، صلى اللّه عليه وسلم وعلى جَمِيعِ الآلِ والصَّحابةْ)[1].

هنيئاً لمن حَجّ بَيْتَ الهُدَى ... وحَطّ عنِ النَّفْسِ أَوْزَارَها

وإنَّ السَّكِينَةَ رُوحٌ وأُنْسٌ ... لمن حَلّ طيْبَةَ أو زارَها

سعيدٌ أنتَ يا هذا القلمُ إذ تكتبُ هذه الورقاتِ عن المدينة، ومحبورٌ أنتَ أيها المدادُ إذ يُسَطّرُ بك شُعورٌ وحُبٌّ كلُّهُ إيمانٌ وهدى، عن أرضٍ شهِدتْ عِزَّ الإسلام، وبطولاتِ ومَلاحمَ سيدِ الأنام، صَلَّى اللّه عَليهِ وعلى آلِهِ وأصْحَابِهِ الكِرام، وجبالٍ طاولتْ السَّمَاءَ أنْ كانَ منها أُحُد، وحُجُراتٍ كانَ يَتَرَدّدُ عليها جِبْريلُ من عِنْدِ اللّهِ الواحِدِ الأَحَد، جلّ جَلالُهُ وتَقَدَّستْ أسْماؤُه.

---

(١) استِهْلالُ مُقدّمةِ مُؤَرِّخِ المدينة الإمامِ نورِ الدِّينِ عليِّ بنِ عبدِ اللّه السَّمْهُودي رحمهُ اللّهُ لِكتابِه: (خُلاصة الوَفَاء بأَخبارِ دارِ المُصْطَفى) ﷺ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَعَلّ أفضلَ تعريفٍ للسعادةِ أنها: لحظاتُ انخطافٍ تُحلِّقُ بالنَّفْسِ البَشَرِيّةِ وراءَ حُدُودِ المَكانِ والزّمانِ، فتَضعُ عَنْها آصارَ التُّرَاب، وتُحَرِّرُها مِنْ أَغْلالِ الحِقْدِ والأَثَرَة، فلا تَرى إلا الجَمَال، ولا تَسْتَشْعِرُ سِوى الحُبّ.

وإذا كانَ لِهذا التَّعْريفِ ظِلٌ مِن الحَقيقَةِ فأنَا سَعِيد؛ سَعِيدٌ ولكنَّ سَعَادَتِي لا تَتَقَيَّدُ بِلَمَعَاتٍ تَبْرُقُ ثُمَّ تَنْمحِي، لا ، بَلْ هِيَ جَلَواتٌ مُتَّصِلَةٌ، إنَّما هِيَ إِشَارَاتٌ إِلَهِيّةٌ إلى مَعَانٍ لا يُدْرِكُ مَدْلُولها إلا القَلْبُ الذي تَفَتَّحَ في جَوِّ الْوَحْي، فهو يُطِلُّ من خِلَالِ حُرُوفِ القُرآن والسُّنَّةِ على عَوالِمَ لا سَبِيلَ إلى وصْفِها بقَلَمٍ أو لِسَان.

كنتُ حينَ أُعَرّفُ بنفْسي داخلَ وخارجَ المملكةِ العَربيةِ السُّعودية، أَذْكرُ أنّي وُلِدْتُ بالقُرْبِ من مسجدِ النَّبيِ ﷺ ، ونَشَأْتُ حتى الآن، لم يَغِبْ مَسْجِدُهُ ﷺ عن نَاظِرِي صباحَ مَساء، في الغدوِّ والآصَال، وفي الأفْراحِ والأتراح، ما إنْ يَسمعْ بذلك مُجَالِسِي، حتى يُبَادِرَني بسؤالٍ لا أظُنُّهُ إلا ويُسْأَلُه كلُّ من سَكَنَ المدينة، ألا وهو: ما هو سِرُّ الرَّاحَةِ النَّفْسِيةِ والطُّمَأْنِينَة والسَّعادةِ التي تَغْمُرُ الزَّائِرَ الظَّاعِنَ فَضْلاً عن المجُاوِرِ السَّاكِنِ في المدينة المُنوَّرَة؟!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكنتُ أُجيبُ بما يَحْضُرُني مما يُناسِبُ ماجرّيات المَقام، حتى شَرّفني الإخوةُ بعضويةِ المجلسِ العِلْمِيّ في: (مَشْرُوعِ تَعْظِيمِ قَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ)، وطلبُوا مني مُحاضَرةً ح َوْلَ هذا المَوْضُوع، فكانتْ هذه (الرسالة) التي حاولتُ فيها استقْصَاءَ وتَتَبُّعَ ما تَوصّلْتُ إليه من أسبابِ وعَوامل، قد يَشْعُرُ المؤمِنُ ببَعْضِها، وقد يَجْهلُها مع كونها مؤثرةً فيه لا مَحالَةَ حتى ولو لم يَعْلَمْ أنّها سَبَبٌ من أسبابِ جَلْبِ هذه الرَّاحَةِ النَّفْسيةِ والطُّمَأْنِينَة التي باتَتْ تملأُ قلْبَ كلِّ من شَرُفَ بأنْ وَطِئَتْ قَدَماهُ المدينة، وهي أسباب وعوامل ربما تكونُ مُتداخلةً، لكني أفردتُها للبَيانِ ومزيدِ إظهارٍ لها.

إنّ الباحثَ في موضوعٍ كهذا، لن يجدَ صُعُوبَةً ذاتَ بالٍ إذا وضَعَ - في منهج بحثه - نَصْبَ عيْنَيْه ما جاءَ في فضائلِ المدينة من نُصوصِ الوحي، وجَعَلَها هي الأصلَ والعُمْدَةَ في البحث، ثم اسْتَنارَ واسْترشد باسْتِنْباطاتِ وشُرُوحاتِ علماءِ أهل السنة والجماعة، وفُهومِهم وتَوْقِيعاتهم على هذه النصوص، بعيدا عن الأَذْواقِ و المَوَاجِيدِ والآرَاءِ والعَوَاطِف المسترسلة التي لا يَضْبِطُها وحيٌ من كتابِ الله ولا من سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان هِجّيرَايَ في رحلةِ البحثِ هذه، كتابَ أخي الدكتور صالح بن حامد الرِّفَاعي: **[الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمْعاً ودِراسة]**، الذي انتخبَ فيه من صحيح فضائل المدينة فأوْعَى، وفَتَّشَ وحَرّرَ حتى عَنْ غيْرِه أغْنَى، وقَسّمَ فضائلَ المدينةِ إلى فُنُونٍ جِنْساً ونَوْعا، وحَسَمَ عِلَلَ أدْواءِها الحديثيةَ بحسامٍ وافَقَهُ كَرْهاً وطَوْعا، فبَحْثُه بلا شكٍ ولا مِرا، يَصْدقُ عليه قَولُ مَنْ قالَ: (كُلّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفِرَا).

وكانتْ هذه الرِّسَالةُ التي عَنْوَنْتُها بـ (إنها سَكِينَةُ المدينة)، اخترتُ لفظةَ (السَّكِينة) التي جاءتْ في الوحْي لأعبِّر بها عن الرَّاحَةِ النَّفْسيّةِ التي يَنُصّ السّائِلون عليها، فانْتَظَمَتْ في عِقْدِ مُحَاضَرتِنا جَواهِرُ ثلاثٌ:

- **الجوهرة الأولى : تَعريفٌ ومَعْنى الراحةِ النَّفْسيّةِ (السكينة) المسؤول عنها.**
- **الجوهرة الثانية : أسبابُ الراحةِ النفسيةِ (السّكينة) التي نَشْعُر بها في المدينة.**

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجوهرة الثالثة : كيف نحافظُ على (سَكينةِ المدينةِ) نحنُ المؤمنين، مجاورين وزائرين ونتخلق بآداب ساكنها حقاً وصِدْقاً، ونَرْعى هذه الآدابَ حقَ رِعايَتِها؟

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجوهرة الأولى

تعريفُ ومَعْنى الراحةِ النَّفسيّة (السَّكينة) المسؤول عنها.

الجديد
NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجوهرة الأولى : تعريفُ ومَعْنى الراحة النَّفْسيّة(السكينة) المسؤول عنها.

السكينة: فَعِيلَة من قول القائل سَكَنَ فلانٌ إلى كذا وكذا إذا أطْمَأَنَّ إليه وهَدَأَتْ عنده نفْسُه فهو يَسْكُن سُكونا وسَكِينة.

ومن تعريفاتِ علمائنا رحمهم الله كالإمام ابن جَرِير الطَّبَرِيّ والإمام النَّوَوِيّ وغيْرِهما، يُمْكِنُ تَرْكيبُ التعْريف التَّالي للسَّكِينة:

(هي آياتٌ ونَفَحَاتٌ من الله عَزّ وَجَلَّ فيها رحْمةٌ وطُمَأْنينةٌ، تَبْعَثُ في القَلْب أُنْساً ورِضَىً وسَكناً للقَضَاء والقَدَر حُلْوِهِ ومُرِّه).

ومن مرادفاتها: الأُنْسُ والسَّكَنُ والسُّكُون والطُّمَأْنِينَة والرِّضا والقَرَار.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد وردتْ هذه الكلمة [السَّكِينة] بالمعنى المُرَاد ستةَ مراتٍ في الذِّكْر الحكيم:

في سورة الفتح، ومعنى الفتح عند أكثر المفسرين صُلْح الحُدَيْبية ، فلما حَصَل فيه ما حَصَل من الاضْطِراب والقَلَق والحُزْن الذي حَصل عند بعْض الأصْحاب رضْوانُ الله عليهم أجمعين جَرَّاءَ مَنْعهم من العُمْرة التي جاءُوا لأدائها وكانت بُنُود الصُّلْح ثَقِيلةً على نفوس بعضهم، كرَّرَ لفْظ (السَّكِينَة) في السورة ثلاثَ مراتٍ:

في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ الفتح:٤.

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ الفتح:١٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الفتح:٢٦.

ووردتْ لَفْظة (السَّكِينَة) في سورة التوبة، التي ذكر فيها ما حصل من اضطرابٍ لقلوبِ وأفئِدةِ المؤمنين جَرَّاءَ الامتحان والاخْتبار، فكرَّرَه - سبحانه - في السورة مرتين:

في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ التوبة: ٢٦.

وفي الموضع الآخر من السورة الكريمة نفْسِها: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ التوبة: ٤٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما الموضع السادس ففي سورة البقرة على قولٍ لبعض المفسرين: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ البقرة: ٢٤٨.

وفي فنّ كُلّيّاتِ القرآن - يعني الكلمات المضطردة المعنى في القرآن - قال حَبْرُ الأمةِ وتُرْجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

(كلُّ سَكِينةٍ في القرآن فهي طُمَأْنِيةٌ إلا في سورة البقرة)اهـ.

إهداء سكينة المدينة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وورد لفظة [السَّكِينة] في السنة الشريفة للمعنى المقصود معنا في احاديث منها:

١- حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما: أنهما شهِدا على رسول الله ﷺ أنه قال: ((لا يَقْعُدُ قومٌ يذْكُرون الله عزَّ وجلّ إلا حَفَّتْهُم الملائكةُ، وغَشِيَتْهُم الرحمةُ، ونَزَلَتْ عليهم السَّكِينةُ، وذَكَرَهُم اللهُ فيمنْ عِنْده)) أخْرَجه الإمامان مُسْلِمٌ والتِّرْمِذِيُّ رحمهما الله.

٢- وحديثُ البراء بن عازِبٍ رضي الله عنه قال: كان رجلٌ يقرأ سورة الكهف وعنده فَرَسٌ مَرْبُوطَةٌ بشَطَنَيْن[1]، فَتَغَشَّتْهُ سَحابة فجَعَلَتْ تَدْنُو، وجَعَل فَرَسُه يَنْفِرُ منها، فلما أصبحَ أتى النبيَّ ﷺ فذَكَر له ذلك فقال: ((تِلْك السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ للقرآن))، وفي رواية: ((اقْرأْ فلان فإنها السَّكِينَة تنزَّلتْ عند القرآن))، ((أو للقرآن))، وفي رواية: ((تنزَّلتْ بالقرآن)) أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي.

---

(١) أي: بحبلين.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي كُتُب الوجوه والأشباه والنظائر في القرآن، ذكر العلماء مرادفاتٍ للسَّكِينةِ منها:

- السَّكَنُ بمعنى الأُنْسِ ومنه في سورة الأعراف: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الأعراف: ١٨٩.
- السَّكَنُ بمعنى الطُّمَأْنِينَة في سورة براءة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة: ١٠٣.
- الاطمئنان بمعنى السُّكونِ ففي سورة البقرة: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ البقرة: ٢٦٠.
- الطُّمَأْنِينَة بمعنى الرِّضا والسُّكون، كما في سورة الحج: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ الحج: ١١، ومنه أيضا ما جاء في سورة النحل: { وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ } النحل:١٠٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

■ ومنها السَّكَنُ بمعنى القَرار، في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ الأنعام: ٩٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجوهرة الثانية

أسبابُ الراحةِ النفسية (السَّكينة) التي نشعُر بها في المدينة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجوهرة الثانية: أسبابُ الراحةِ النفسية (السَّكينة) التي نَشْعُر بها في المدينة.

الأول: من أسبابِ حُصول السَّكِينَة في المدينة، أثرُ بَرَكَة الوحْي الذي كان يَتَنَزَّل في جَنَبَاتِ المدينة طِيلَةَ عشْر سنين، وقد كان شاعِرُ النبي ﷺ حسَّان ﷺ يشير في شِعْره إلى بَرَكة نزول الوحْي في المدينة ومنه قوله:

ولا تمَّحي الآياتُ من دارِ حرمةٍ ... بها منبرُ الهادي الَّذي كان يصعدُ

وواضحُ آياتٍ وباقي معالمٍ ... وربعٌ له فيه مصلًّى ومسجدُ

بها حُجُراتٌ كانَ ينزلُ وسْطَها ... من اللهِ نُورٌ يُستضاءُ ويُوقدُ

معارفُ لم تُطمس على العهدِ آيُها ... أتاها البِلَى فالآيُ منها تَجَدَّدُ

الثاني: حُلول الطَّيِّب بها، رسولِ الله ﷺ، وفي قِصَّة غَنائِمِ حُنَيْن وأصْلها في الصحيحين:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَى، مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا، فِي قُرَيْشٍ وَفِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَوا فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مِنْهُمْ الْقَالَةُ وقَالَ قَائِلُهُمْ: لَقَدْ لَقِيَ وَاللّهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ هَذَا الْحَيّ مِنْ الأَنْصَارِ، قَدْ وَجَدُوا عَلَيْك فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْت فِي هَذَا الْفَيْءِ الّذِي أَصَبْت، قَسَمْتَ فِي قَوْمِك، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيّ مِنْ الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، قَالَ: ((فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟)) قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَا أَنَا إلا مِنْ قَوْمِي، قَالَ: ((فَاجْمَعْ لِي قَوْمَك فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ))، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ الأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدّهُمْ، فَلَمّا اجْتَمَعُوا لَهُ، أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لك هَذَا الْحَيُّ مِنْ الأَنْصَارِ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمّ قَالَ: ((يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا عَلَيّ فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلّالًا فَهَدَاكُمْ اللّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلّفَ اللّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ))، قَالُوا: بَلَى، اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنّ وَأَفْضَلُ، ثُمّ قَالَ: ((أَلا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟))، قَالُوا: بِمَاذَا نُجِيبُك يَا رَسُولَ اللّهِ؟ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنّ وَالْفَضْلُ، قَالَ ﷺ: ((أَمَا وَاَللّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذّبًا فَصَدّقْنَاك، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاك، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاك، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاك، أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ[1] مِنْ الدّنْيَا؟!، تَأَلّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إلَى

(١) اللُّعاعَة: القليل الحقير المتبقى من الشيء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إسْلَامِكُمْ، أَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ))، قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسْمًا وَحَظًّا.

ثُمّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَتَفَرّقُوا فما كان منهم ﷺ إلا أن رَضُوا وأعيُنُهم مُغْرَورَقَةٌ بدموع الفرح بهذا الفضل الكبير، والبشارة العظمى.

قال في إنارة الدجى:

أَعْطى عَطَايا أَخْجَلَتْ دُلَحَ الدِّيَمْ[2] إِذْ مَلأَتْ رُحْبَ الفَضَا مِنَ النِّعَمْ
ووكَلَ الأَنْصارَ خَيْرُ العَالَمِينْ لِدِينِهِمْ إِذْ أَلَّفَ المُؤَلَّفِينْ
فَوَجَدُوا عَلَيْهِ أَنْ مَنَعَهُمْ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ مَنْ جَمَعَهُمْ
وقَالَ قَوْلاً كَالفَرِيدِ المُونِقِ عَنْ نَظْمِهِ ضَعُفَ سِلْكُ مَنْطِقِي

(2) الدِّيَمْ: السَّحَابَةُ الغَزِيرَةُ بالماء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فطابتْ به تربتُها وطابَ هواؤُها وطابتْ جبالُها وأوديتُها بسُكْناهُ فيها حيا، وطابتْ المدينة بجَسَده الشريف فيها ميتا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، لاسيّما والأرض لا تأكلُ أجسادَ الأنبياء، لما رواه الإمامان أبو داود والنَّسَائي رحمهما الله في سننهما وصححه الشيخ الألْباني رحمه الله في التَّوَسل، من حديث أوْس بن أوْسٍ ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((أكْثِروا عليّ من الصَّلاة فيه - أي يوم الجُمُعة - فإن صَلاتكم مَعْروضةٌ عليّ))، قال رجل: وكيف تُعْرَضُ صَلاتُنا عليك وقد أَرِمْتَ؟ - يعني بَلِيتَ - فقال ﷺ: ((إنَّ اللّهَ حَرَّم على الأرض أن تأكل أجسادَ الأنبياء)).

وذهب شيخ الإسلام ابن تَيْمية رحمه الله إلى أن الأنبياء لا يَبْلونَ، وترابَ قبورهم طاهر، وأَجْسَادَهم أَفْضَلُ مِنْ الْمَسَاجِدِ.

طابت به صلوات الله وسلامه عليه حِسًّا فَفَاحَ طِيبُه وعَبِيرُه فيها، حتى نَشِقَ منه الصحابةُ ﷺ.

وفي الصحيحين من حديث أنسٍ ﷺ عن أُمِّه أمِّ سُلَيمِ بنْتِ مِلْحان قالت: دخل علينا النبيُّ ﷺ فنام عنْدنا فعَرِقَ وجاءتْ أمِي بِقَارُورةٍ فجعلتْ تَسلُتُ العَرَقَ فيها، فاستيْقَظ النبيُّ ﷺ فقال: ((يا

إنها سكينة المدينة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أمَّ سُلَيْمٍ ما هذا الذي تَصنَعِين؟!)) قالت: هذا عرقُكَ نَجْعَلُه في طِيبنا، فهو أطْيَبُ الطِّيب.

لطيبةَ طِيبٌ إنّ بين بُيُوتِهـــا ... طَبيبـــاً لأدواءِ القُلوبِ طَبيبُ
إذا لم تَطِبْ في طَيْبةٍ عندَ طَيِّبٍ ... به القُلوبُ قد طَابَتْ فأينَ تَطِيبُ

وطِيبُ النبيِ ﷺ ليس متصلاً فقط في حياته بجسده الشريف صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، بل حتى بعد مماته استَمَر طِيبُ وعَرْفُ رائحتِه الزكيةِ، كما فهمه الصديقُ أبو بكر وأبو الحسن عليٌّ أَميرا المؤمنين رضي الله عنهما.

أما خليفةُ رسولِ الله الصِّديق أبو بكرٍ ﷺ: فحين قبَّله في قصةِ وفاته ﷺ كما في صحيح الإمام البُخارِي رحمه الله قال: (بأبي أنْتَ وأُمِّي طِبْتَ حَيّاً ومَيتا)، وفي رواية: (ما أطْيبَ مَحْياكَ ومَمَاتَك).

وأما أميرُ المؤمنين أبو السِّبْطَيْن علي ﷺ، ففي سنن الإمام ابن ماجة وصحَّحَه الألْباني رحمهما الله حين غَسَّلَه ﷺ قال: ذهَب يلْتَمِس منه ما يَلْتَمِسُ من الميِّت فلم يجدْه فقال: (بأَبي

إلها سكينة المدينة
NEW & EXCLUSIVE

الطَّيِّبُ طِبْتَ حيًّا وطِبْتَ مَيتاً).

وطابَ بحُلوله في المدينة عَيْشُ أهلها حتى صار طيِّبا.

وصارَ من بَرَكته بَرَكَةُ الأُنْسِ به وانْشِراح الصدْر وحصول السَّكِينَة والطُّمَأْنِينَة بالقُرْب منه ومُسَاكنَتُه في المدينة، فطَيْبَةُ من أسماء المدينة الشرعيّةِ المُباركة، التي نَزَلَتْ بوحْي من السماء (طَيْبة وطَابَة)، فهي مَعْدِن الطِّيب والطُّهْر والتَّزْكية، بما فيها من فضائل العبادات القلبية كزيادة محبته ﷺ، والتأدُّبِ بآداب مدينتِه وحَرَمِه ومراعاة أدب الجوار وحقوقِه، وبَعْثِ شوقِ التَّأَسِي والاقْتداءِ به في النُّفوس، واسْتِثارة الهِمَمِ لتعلُّم سيرته وشمائله، وزيادةِ حُبِّ الخير والتَّنَافسِ في فضائل الأعمال الصالحة التي تَزيدُ العبْدَ عُبوديةً لله، فيُثمِرُ طيبُ ذلك كلُّه في نفوس قاصديها تلك السَّكِينةَ التي يشعُرون بها.

قال الإمام الباجي رحمه الله تعالى في شرحه على المُوَطَّأ:

(...النَّبِيُّ ﷺ اخْتَارَ سُكْنَاهَا بَعْدَ الْفَتْحِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ قَدْ افْتُرِضَ عَلَيْهِ، فَلَا يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ السُّكْنَى إلَّا فِي أَفْضَلِ الْبِقَاعِ،

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُفْتَرَضًا عَلَيْهِ وَاخْتَارَهُ، فَلَا يَخْتَارُ لِاسْتِيطَانِهِ وَاسْتِيطَانِ الْإِمَامَةِ وَفُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ إِلَّا أَفْضَلَ الْبِقَاعِ).

الثالث: ومن أسباب حصول السَّكِينَة بالمدينة المنورة زيادةُ إيمانِ من زارها حُبّاً في ساكنها ﷺ، ورغبةً في التَّزَوّدِ من أجْرِ الأعمال المُضاعَفة بها، فيشْعُر زائرُها وساكنُها بقوَّةِ الإيمان وحلاوته.

إنَّ المؤمن يَشْعر في المدينة بأنه إلى جانِب الرسول ﷺ يَرَى مَضْجَعَه، ويَتَذكَّر أنه ظَلَّ طُوالَ حَياتِه الكريمةِ بهذا البلَدِ عَزيزا مُكرَّماً وقائدا مُعَظَّماً، وإماما مُلْهَماً ونبيّاً ورسولا، يَدعو فيُجاب، ويَأمرُ فيُطاع، فيُخْتَزَلُ التأْريخُ لديه في تلك اللحظات، وتُطوى القرونُ عنده تلك السَّاعات، حتى يَكاد كلُّ شِبْرٍ منها أن يَنْطق ليَحْكي ويَرْوِي جَمَال التَّأْريخ الذي شَهِدَه وانْفَرد به.

يا الله... أبَيْنَ هذه الجبالِ والأوْدِية والفِجَاج والمساجد كتب أشرق تأريخ، وسطرت الأيام أعظم ملاحم الوجود؟

أهذه الحُجُرات وأُحُد، وجبلُ الرماة وسَلْعٌ، والبَقيع والعَقيق وقُبَاء واللأَبَتَيْن والمُصلَّى وموقُع الصُّفَّة، التي وقع نَظَرُ النَّبيّ ﷺ عَلَيْها وشَرُفَتْ هي بأنْ خَلَّدَها حَدِيثُهُ عنْها وقِصَصَهُ عليْها.

كيف لا يَزْدَادُ الإيمان بزيارتِها والمُقام فيها وقد اسْتَقَرَّ فيها الدِّينُ والإيمان، فسَكَنَتْ فيها النُّفوس واطْمَأنّتْ، وكيف لا يَحُسُّ المُؤمِنُ بالسَّكِينة في المدينة، وهي مَأْرِزُ الإيمان ومَرْجِعه ومَوْئِله ومَصْدره، من المدينة انْتَشَرَ الإيمانُ إلى العَالمَ وعَمّ، وفيها سَكَنَ وإليها يَنْزَوِي ويَحْتَمِي ويَنْضمّ.

ثبت في الصحيحين من حديث: أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا)).

وكلام أئمَّتِنا رحمهم الله أن المدينة غالبا لا يأتيها ليزْدَادَ إيمانُه، إلا المؤمنون يَسُوقُهم ويَحْدُوهم إيمانُهم لها، نقل الإمام العَيْنيُّ رحمه الله في عُمْدَةِ القارِي ما يفيد ذلك قال: (وقال المُهَلَّبُ: إنَّ المدينةَ لا يأْتِيها إلاّ مؤمن وإنما يَسُوقه إليها إيمانُه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومحبتُه في النَّبي ﷺ، فكأنَّ الإيمان يَرْجِع إليها كما خرَجَ منها أوَّلاً).

وهو كذلك، ففي أوَّل الإسْلام كان كلُّ مَن خَلُص إيمانُه، وصَحَّ إسْلامه جاء المدينةَ مُهاجِرا مُتَشَوِّقاً للتَّزَوُّدِ مِن الوحْي، مُتَعَلِّماً مِن رسول الله ﷺ .

ولَمْ يَزَلْ أَعْظَمَ عامِلٍ ورَافِدٍ لتقْوِيةِ الإيمان هو العلمُ الشرعيَّ، بضاعةُ الأنبياء وإرْثهم، ولَمْ يَزَلْ هذا الفَضْلُ لهذا العَامِلِ من عوامِلِ تَقْوِيةِ الإيمان حتى اليوم لقَاصِدِي مَسْجده ﷺ يَأْتِيهِ طُلاَّبُ العِلْمِ مِنْ أَجْلِ الوحي، والتزود من العلم الشرعي، فيغدون عند الله جل جلاله بمنزلة المجاهدين في سبيل الله.

كما جاء في سنن الإمام ابن ماجة رحمه الله وصححه الشيخ الألباني رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره)) .

الرابع: من الأسباب القدرية في حصول تلك السكينة، تعلقُ أفئدة المؤمنين بالمدينة والحنينُ لزيارتها، والشوقُ والهُوِيُّ إليها وإرادتُها والإسراعُ إليها، كما تعلقوا بمكة مرتين، وهذا ما فهمه العلماء من دعوة النبي ﷺ بمثلَيْ ما دعا به نبي الله إبراهيم عليه السلام لمكة، من البركة الدنيوية والأخروية، في الصحيحين من حديث أنس ابن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((اللهم اجعل بالمدينة ضعفيْ ما بمكة من البركة))، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

(أي من بركة الدنيا بقرينة قوله ﷺ في الحديث الآخر: ((اللهم بارك لنا في صاعنا ومُدنا))، ويحتمل أن يريد ما هو أعم من ذلك) اهـ.

والقول بأن البركة أعم في كل شيء هو أظهر القولين وأقواهما.

وفي تاريخ الإمام ابن أبي خيثمة وصحيح الإمام ابن حبان رحمهما الله وصححه الدكتور الرفاعي: أن النبي ﷺ قال: ((واجعل مع البركة بركتين)).

وقد سجل القرآن الكريم دعاء إبراهيم في القرآن الكريم في دعائه لمكة بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ البقرة: ١٢٦ .

وقوله تعالى حكاية عنه أيضا: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ إبراهيم: ٣٧.

قال الدكتور الرفاعي - حفظه الله - في الأحاديث الصحيحة في فضائل المدينة (ص١٠٢):

(فقد تضمنت هذه الآيات الدعاء لمكة بالأمن وأن يرزق أهلها من الثمرات على اختلاف أنواعها وأشكالها ، وأن يجعل أمما من الناس تأتي إليهم فينتفعوا منهم،وكما أن الله سبحانه وتعالى قد استجاب دعاء إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى مُمْتَنًّا على أهل مكة: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٥٧﴾ ﴿ القصص: ٥٧، فقد استجاب سبحانه وتعالى أيضا دعاءَ نبيه محمد ﷺ، فحصل للمدينة من ذلك أكثرُ مما حَصَلَ لمكة).

وكم تَنازعتْ المؤمنين قديما وحديثا حين زاروها محبةُ الرجوعِ إلى الوطن والأهل مع محبةِ البقاء في المدينة، ومنهم العلامة عبد الله بن سيد محمود الحَاجِي المتوفى عام (١٢٥٠هـ) رحمه الله ، حين حجَّ وزارَ المدينةَ وأراد الرجوعَ إلى بلده (شنْقِيط) فتنازَعه شَوْقُ المحبةِ والبَقاءِ وشوقُ الرجوعِ إلى الوطن فقال مُصوِّرا حالَه في بيتين مشهورَين:

بانَ الحَبِيبُ وبانتْ عَنْكَ طَيْبَتُه ... فأيْنَ أُحْدٌ وسَلع أيْنَ قُبَّاءُ

وأيْنَ رَوْضَتُه الفَيْحاءُ يا أسَفِي ... إنَّ المَحبةَ والأَوْطَانَ أعْداءُ

الخامس: من أسباب السَّكِينَةِ الحاصلة بالإقامة في المدينة أو في زيارتها ما أوْدعه الله في النفوس والقلوب من الرضا ، بعد تَعَبُّدِهم لله في المدينة ، في قوله تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ الحج: ٥٩. وهو وعْدٌ من الله للمُهاجِرين الأوَّلين ولم يَزَلْ إلى قِيامِ السَّاعة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعُلماءُ اللُّغة يقولون: (المَدخل): بفتح الميم الدخول، ومَوْضِع الدخول أيضا، وبضم الميم (المُدخل): الإدْخالُ وهو المُرادُ معنا هنا أي: إدْخالا مَرْضيا ومَوْضِعاً مَرضياً، لا يَجِدون فيه مَكْروها.

قال الشيخ عبد الرحمن السعْدي رحمه الله في بَهْجة قلوب الأبرار وقُرَّة عُيون الأخيار في شَرْح جَوامِع الأخْبار:

(...مُدْخل الصِّدْق ومُخْرجه، أن تكون أَسْفارُ العبد ومَداخله ومَخارجه كلُّها تحتوي على الصِّدْق والحَق، والاشْتغال بما يُحبُّه الله) اهـ.

والزّوارُ والمجاورون في المدينة يُرجى لهم من الحَظِّ الكبير في المِيراث النَّبوي، ومن مَرْتبة ومَقَام الصِّدْق في اتِّباع شريعة الله عزَّ وجَلَّ ونُصْرة دينه، ومَقَام الصدْق في محبة النَّبي ﷺ، والاعتقادِ بنبُوَّتِه ورِسالته، هذا المقام الذي يزداد في القلوب في هذه المدينة الطَّيبة، ويُرْجى لهم الحَظُّ الأوْفَرُ من دُعاء النبي ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ الإسراء: ٨٠.

إنَّ الداخِلَ إليها يَجِد بين نَخيلها وجُدْرانِها ولابَتَيْها الهادئتين ووادِيها الأَفْيَحِ سَعَةً بعد ضِيق، وحُبُوراً بَعْد غَمّ، وسُرورا بعد هَمّ، نعم فَلِكلِّ مؤمنٍ حَظٌّ من ذلك المِيراث النَّبَويِّ، ومن تلك الحالة الشُّعُورِية التي غَمَرَتْ قُلُوبَ الصَّحابةِ ﷺ فأَنْسَتْهُم الأهلَ والأموالَ والأوطان.

لقد احْتَفَتْ طَيْبةُ واحْتَفَلَتْ بضَيْفَهْا المُكْرَمِين - وحُقَّ لها - فاسْتَقْبَلَتْهُم في أبْهى حُلَلِها وأعْظمِ زِينَتِها، مُسْفِرَةً ضَاحِكَةً مُسْتَبْشِرة، فكان ذلك أعْظمَ يومٍ في تَأْرِيخها، بل في الدهْر أجْمَع.

فلا يَنْفَكُ ذلك الإحْساسُ يُرَاوِدُ المؤمِنَ في قَرارَةِ نَفْسه وأغْوارِ قلبه كلما تراءى من طَيْبة نَخِيلٌ بَاسِقٌ، أو عَلَمٌ شَاخِصٌ أو حَائِطٌ عَتِيق، أو مَوْقِعٌ يَحْكِي قِصّةَ تأْرِيخٍ عَتِيق...

ألا يـــا نَعْمَ طَيْبةُ والعَوَالِي ... وحِيطانُ الحَدائقِ والسَّواقِي

هِيَ الدَّارُ التي شَرُفَتْ وتَاهَتْ ... على شَـــامِ المَواطِنِ والعِراقِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالمدينةُ دارُ العزّةِ والكَرامةِ والنَّصْرِ والتَّمْكين، فإذا زارَها المُؤْمِنُ شَعر بأنه في مَوْطِنِ العِزّةِ ومَوْقِفَ القُوّةِ، ولم تُعِدْ إليه ذاكرتُه صورةً تخدُشُ ما يَحُسُّ به من مَظاهِرِ العِزّةِ والإباءِ فيَظَلُّ في تِلك الأَجْواءِ المُريحة، وفي أنْسَامِ ذلك التّأْرِيخِ العَبِقِ المَجِيد، لا ذِلّةَ ولا إذايَةَ ولا ضَعْفَ ولاهوانَ، فيَجيئُه من رَوْحِ الذّكْرَياتِ وعَبَقِها ما يُنْسيه أنْكادَ الحَياةِ وأوجاعَ الوجود، بل ما يُنْسِيهِ آلامَ الفِكْرِ في الكَيْنُونَةِ والمَصير.

السادس: من الأسباب التي قد يَسْتَشْعرها بعْضُ الزَّائرين والمُجَاورين فتُثْمِر تلك السَّكِينة، أنّهُ يَقْدَمُ على خاتَمِ النَّبيين والمُرْسَلين، وعلى مَنْ هُوَ أوْلى به مِن أهْلِه ووالديْه - مع كونهم هُم محلَّ العَطْفِ والشَّفَقَة والرَّحْمة - وهو النَّبيّ ﷺ قال تعالى ﴿اَلنَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ الأحزاب: ٦، قال الإمام ابنُ كَثِير رحمه الله تعالى:

(قد عَلِم الله تعالى شفَقة رسولِه ﷺ على أُمَتِه، ونُصْحَه لهم، فجعَلَه أوْلى بهِم من أنفُسهم، وفي الصَّحِيح: ((والذي نفْسي بيَدِه، لا يُؤْمِن أحَدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفْسه وماله وولِده

والنَّاسِ أجمعين))، وفي الصَّحِيح أيضا أنَّ عُمَر ﷺ قال: يا رسول الله، واللهِ لأنْتَ أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلا من نفْسِي، فقال: ((لا يا عمر، حتى أَكُون أحبَّ إليك من نفْسك))، فقال: يا رسول الله لأنْتَ أحبُّ إليّ مِن كُل شيءٍ حتى من نفْسي، فقال: ((الآنَ يا عمر))، وفي صحيح الإمام البُخاريّ رحمه الله عن أبي هريرة ﷺ عن النَّبي ﷺ أنه قال: ((ما مِن مؤمن إلا وأنا أوْلى النَّاسِ به في الدنيا والآخرة، اقْرَؤوا إن شِئْتم: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ تفرَّد به البُخاريُّ) ا هـ.

وفي تفسير الإمام ابن عَطِيَّة رحمه الله:

(هو أولى بهم من أنفُسهم، لأن أنْفُسَهم تَدْعُوهم إلى الهَلاَك، وهو يَدْعُوهم إلى النَّجاة، ويُؤَيِّد هذا قولُه عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه الإمامُ مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنما مَثَلِي ومَثَلُ أمتي كمَثَلِ رَجُلٍ استَوقَد نارا فَجَعَلَتْ الدَّوابُّ والفَرَاشُ يَقَعْنَ فيها، وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكم وأنتم تَقَحَّمُون فيها)) اهـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال العلماء: الحُجْزَةُ للسَّراويل، والمَعْقِدُ للإزَار، فإذا أراد الرجل إمساك مَن يَخاف سقوطَه أخَذَ بذلك المَوْضِع منه، وهذا مَثَلٌ لاجْتِهادِ نبيِّنا عليه الصلاة والسلام في نجَاتنا، وحِرْصِه على تَخْليصنا من الهَلَكات التي بين أيدينا، فهو أوْلى بنا من أنفُسنا.

يقول الشيخ ابن سِعْدي رحمه الله في تفسيره الإيماني تيسير الكريم المنان عند قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾:

(يخبر تعالى المؤمنين، خبرًا يَعْرِفون به حالةَ الرّسُولِ ﷺ ومرتَبَتَه، فيُعامِلُونَهُ بمُقْتَضَى تِلْكَ الحالةِ فقال: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ أقْرَبُ ما للإنْسَان، وأوْلى ما له نَفْسه، فالرسول أوْلى به من نفْسه، لأنه عليه الصلاة والسلام، بذَلَ لهم من النُّصْحَ، والشَّفَقَة، والرَّأْفَة، ما كانَ به أرْحمَ الخَلْق، وأرأفَهم، فرسولُ اللّه، أعظمُ الخلق مِنَّةً عليهم، من كل أحَد، فإنه لم يَصِلْ إليهم مِثْقالُ ذَرّةٍ من الخير، ولا انْدفَع عنهم مِثْقالُ ذَرّةٍ من الشّرِ، إلا على يديْه وبسَبَبه) اهـ.

ولا شك أنَّ كوْنه ﷺ خاتَمَ النَّبِيِّين الذي كَمّل اللّهُ به الدِّينَ، صلوات اللّه وسلامه عليه، يُثْمِر تَجَدُّد هذا الاعتقاد

سَكِينةً في النَّفْس فلا تنتظرْ بعده نبيا، ويُثْمرُ اعتقادُ كَوْنه خاتمَ النبيين صلوات الله وسلامه عليه، أن نملأَ من رسالتِه ودينِه وشريعتِه وسنتِه نفوسَنا وقلوبَنا، ونَتَلقّاها تَلَقِّي الجُنْدِيِّ لأَوامِرِ قائِده، بل تَلَقِّي المؤمنِ بها المعتزِ بها، وهذا يُفيدُه وصْفُ اللهِ عزوجل له بقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الأحزاب: ٤٠ .

قال الرازي رحمه الله: (ثم بيّنَ ما يُفيدُ زِيادةَ الشَّفَقَةِ من جانِبِهِ والتَّعْظِيمِ من جِهَتِهِمْ بقوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وذلك لأنَّ النَّبيَّ الذي يَكونُ بَعْدَهُ نَبِيٌّ إنْ تَرَكَ شَيْئاً مِن النَّصيحة والبَيانِ يَسْتَدْرِكُه مَن يأْتِي بعدَه، وأمّا مَن لا نبي بعدَه يَكونُ أشْفقَ على أُمّتِهِ وأَهْدى لهم وأجْدَى، إذْ هُو كوالدٍ لولَدِه الذي ليْسَ لهُ غَيْرُه مِن أَحَد.

السابع: من أسباب حصول السَّكِينَة في النفس، شعور الزائر والمقيم بها، أنه قادمٌ على موضعٍ فيه شيءٌ من وطنه وبلَده الأصْليّ (الجنَّة) التي سُبِينَا منها وأُخْرِجْنا منها بكيْد إبليسَ وحَسَده لأبينا آدم عليه السلام .

فحَيّ على جناتِ عَدْنٍ فإنَّها مَنَازُلُنا الأُولى وفيها المُخيَّمُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكنّنا سَبيُ العَدُوّ فَهَلْ تُرى نُرَدُّ إلى أَوْطانِنَا ونُسَلَّمُ

فوجود أشياءَ من بَلَدِهِ الأصْليّ (الجَنَّة) في المدينة يَبْعَثُ في النّفْسِ السّكينة.

فما بين بيته وحجراته وبين منبره في مسجد المدينة من الجنة، في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله: ((ما بين بَيْتِي ومِنْبري رَوْضةٌ من رياض الجَنّة ومِنْبري على حَوْضِي)).

يقول أديب المدينة الشيخ محمد المجذوب رحمه الله تعالى:

(هذه الرَّوْضةُ المطَهَّرة بين المنبر والقبر المنوَّر، قد طالما احْتَوتْ شَخْصَ الحبيب، ساجدا ومُعَلِّماً ومُبَلِّغاً فما أسْعَد المؤمنَ حين يضَعُ جَبْهته في البقعة المباركة التي طالما شَهِدت سجداتِه، ويتَنَفَّس في الجو نَفْسِه الذي طالما مازَحَ نَفَحاتِه، ويَمَسُّ الأرضَ نفسَها التي طالما سَعِدتْ بخُطْوَاتِه!.

وأيَّةُ غِبْطَةٍ يُمْكنُها أنْ تُضاهِي تلك التي يَسْتَشْعرها المؤمنُ هناك وهو يَرى إلى جانبه تلك الروضةَ الأخرى التي شَرَّفها الله، بأن جعَلها مَسْكنَ حَبِيبه في حياتِه ومثواه في مماتِه!.

ثمَّ أليسَ هُنا قد وقَفَ صاحبُه في الغَار وصِدّيقه المفَضَّلُ يُعالِج صَعْقة المسلمين يومَ الكارثةِ الكبرى، إذ سَرَى في القوم نبأُ وفاتِه ﷺ فزُلْزلت المدينةُ زلزالَها، وذَهَلَتْ العقول، وانهار الجَلَدُ، حتى أقبل عليهم يذكّرهم بخبر السماء الذي صَرَفَتْهُمْ عنه فجأةُ الهَوْل!.

أليس ها هُنا قد سَالتْ دِماءُ الفاروق بيدِ المجوسيّة الحاقدة.. التي آثرتْ المَجْد على الحقِّ الرَّباني، فرَفَضَتْ دعوةَ الله، ثُمَّ حاوَلتْ إطْفَاءَ شُعْلتِه بالقَضاء على الرجل الذي صَنع الإسلامُ منه مَثَلاً من أمثال العَدالةِ للعالَمين .

أليس من هنا؟! من هذا الحَرَمِ الأطْهر بدأت كتائبُ الإسلامِ زحْفَها لاسْتِئْصال النَّكْسة الجاهلية، التي تَخَبَّط فيها أهل الرِّدة، فأماطَتْ عن أبصارهم العَمى، وأعَادتهم إلى جُنّة الإسلام

نادمين مُنيبين، بعد أن تَبَيّنُوا أنّ الإسلام دِينُ الأَبَد، ونِظام اليوم والغَد، لا يَمُوت بموْتِ أحَد!.

أوَليْس من قلْب هذا الحَرَم بدَأَت الانْطلاقة الأُولى بِمِشْعلِ الإسلام إلى خارج حُدود الجزيرة، تُبَدِّد الظلام، وتُوقظ النِّيام، وتَنْشُر أنّى توجَّهَتْ بُذورَ الأمْن والسَّلام).اهـ من مقال للشيخ في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة العدد الثامن.

ومن الجَنة في المدينة منبره ﷺ، فعنْد الإمام أحمد رحمه الله وصحّحه الدكتور الرفاعي، من حديثِ سهْل بن سعْد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((... ومِنْبري هذا على تُرْعَةٍ من تُرَعِ الجَنّة))، وعند الإمام النَّسَائي رحمه الله وهو في المُسْند أيضا وصححه الدكتور الرفاعي من حديث أمِّ سَلَمة رضي الله عنها قالتْ: قال رسول الله ﷺ: ((إنّ قَوائِمَ مِنْبري هذا رَواتِبُ في الجَنَّة)) ومعنى رواتِب أي: دائمةٌ ثابتة كما في مختار الصِّحاح.

ومن الجَنَّة في المدينة تمْر عَجْوة المدينة ، جاء في سُنن الإمام ابن ماجة رحمه الله وسنن الإمام التِّرْمذي وغيرهما من حديث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أبي سعيد الخُدْري ّ وأبي هريرة وابن عبّاسٍ ﷺ، وقال الدكتور الرفاعي:

(وهو حديث صحيح بمجموع طرقه وفيه ((... والعَجْوةُ من الجَنَّة)) أي: غَرْسُها من الجَنّة)، وقال الإمام الحليمي رحمه الله:

(معنى كونها من الجنة أن فيها شَبَهًا من ثمار الجنة في الطَّعْم فلذلك صارت شفاءً من السُّم، ذلك أن السُّمَ قاتلٌ، وتَمْرَ الجنة خال من المَضارِّ والمفاسد فإذا اجتمعا في جوْفٍ عَدّلَ السَّلِيمُ الفاسِدَ فاندفع الضَّرر)، وقال بعض العلماء:

(كون العَجْوة من الجنة فيه المبالغةُ في الاختصاص بالمنفعة والبركة، فكأنه من الجنة لأن طعامَ الجنةِ يُزِيل الأذى والتَّعَب والنَّصَب).

وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((مَن تَصَبَّحَ كل يوم بسبعِ تمراتِ عَجْوة لم يَضرُّه ذلك اليومَ سُمٌّ ولا سِحْر)).

إهداء سكينة المدينة

قال الإمام النّووي رحمه الله تعالى في شرحه على صحيح الإمام مسلم رحمه الله:

(في هذه الأحاديث فضيلةُ تمرِ المدينة وعَجْوتِها، وفضيلةُ التصبُّح بسبعِ تَمَراتٍ منه، وتخصيصُ عجوة المدينة دون غيرها، وعددُ السبْع من الأمور التي عَلِمَها الشارِعُ ولا نعلمُ نحن حكمتَها، فيجب الإيمانُ بها واعتقادُ فضْلها والحكمةِ فيها، وهذا كأَعْدادِ الصلَواتِ ونُصُبِ الزكاة وغيرِها).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: (ظاهر الأحاديث خُصُوصيَّةُ عَجْوة المدينةِ بدفْع السِّحْر والسُّم ، والمطلَقُ منها محمولٌ على المقيَّد).

وقال الإمام ابن حَجَرٍ رحمه الله في الفتح: (والأوْلى أن ذلك خاصٌّ بعجوة المدينة).

وقال الإمام الخطابي رحمه الله : (كون العَجْوة تَنْفع من السُّم والسِّحْر إنما هو ببَركةِ دَعْوة النَّبيّ لتَمْرِ المدِينة لا لخاصِيّةٍ في التَّمْر).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الثامن: من أسباب السَّكِينَة الشعورُ بالأَمْن والأَمَان في المدينة، وأنها بلدةٌ آمنَةٌ، لا يُهْرَاقُ فيها دَمٌ، ولا يُحمل فيها سِلاحٌ لقتال، ولا يُقْطَع شجرُها، ولا يُضْرب بعصا ليَتَناثر، ولا يُخْتَلَى خَلاها ولا يُنَفَّرُ صيْدها أو يُقْتل ولا تُلْتَقَطُ لُقَطتُها إلا لمعرِّف[1].

وبَرَكَةُ الأمْنِ في المدينة شَمِلَتْ حتى حَيّاتِها العوامر - على قولٍ عند الإمامِ مالكٍ رحمه الله - الذي يرى أن الخُصُوصية في الإنْذار والتَّحْرِيج لحيّات المدينة دون غيرها.

في فتح الباري: (قال أهل اللغة: عُمَّارُ البيوت سكانُها من الجِنّ وتَسْميتهن عوامر لطولِ لُبْثهن في البيوت مأخوذ من العُمْر وهو طُولُ البَقَاء) اهـ.

فيا لأمْن المدينة !! حتى الحيّات أمنِتْ من التعدِّي عليها، فشَرَع رسول الله ﷺ مخاطَبتَها والتحريجَ عليها، كما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي سعيد الخدري رض الله

---

(١) لُقَطَتُها: اسمٌ للشيء الضائع الذي تجدُه مُلْقىً فتأخذه مثل النُّقود ونحوِ ذلك مما له قيمة، وكيْفِيّةُ تَعْريفها بأن يُعْلَنَ عنها حتى يأتيها صاحبها، وإنْ دَفَعَها للجهاتِ المُخْتَصةِ بحِفْظِ الضَّائِعاتِ بَرِئَتْ عُهْدَتُه مِنْ تعريفها.

عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا فَإِنْ بَدَا لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ))، وكيفية التّحْرِيجِ عليها أن تُخاطبها مُخاطبة من يَعْقِل وتقول: أُحَرِّج عليكِ باللهِ إلا خَرجْتِ.

ولا شكَّ أنَّ الأمنَ لازمٌ لكي يقوم المسلمون بتأْدية عباداتهم، وإتمْام ما أَتَوا من أجْله في راحةٍ واطْمِئْنان وسَكِينة، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد بن عاصِم ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال مؤكِّداً على حُرْمة مكَّة والمدينة: ((إنَّ إبراهيم حرَّم مكَّة ودعا لها، وإني حرَّمتُ المدينة كما حرَّم إبراهيمُ مكَّة، وإني دَعَوْتُ في مُدِّها وصَاعها، مثلَ ما دعا به إبراهيم عليه السلام لمكَّة)).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله من حديث سَهْل بن حُنيفٍ قال: أَهْوى رسول الله ﷺ إلى المدينة فقال: ((إنَّها حَرَمٌ آمِن)).

التاسع: من أسباب السَّكِينة التي قد يَسْتَشْعِرها السَّاكِن والزَّائِرُ والمُوَظَّفُ والتَّاجِرُ فيَحُثُّه على حُسْن الخُلُقِ وكَفِّ الأذى ، كونُ أهلِ المدينة وَصِيّةَ رسولِ الله ﷺ، وبأنَّ الكَائِدَ لأهْل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المدينة الذي يَنْوى الكَيْدَ والضَّرَرَ والشَّر والحِيلة في الإساءة إليهم، مهَدَّدٌ بعذابٍ خاصّ، وهو أنْ يَنْماعَ كما يَنْماعُ المِلْحُ في الماء ، أو كما يَذُوبُ الرَّصَاصُ في النَّار، كما جاء في الصَّحيحين من حديث سعْد بن أبي وَقَّاص خالِ الحبيب ﷺ قال: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((لا يَكِيدُ أهلَ المدينة أحَدٌ إلا انْماعَ كما يَنْماعُ المِلْحُ في الماء))، وفي رواية الإمام مُسْلمٍ رحمه الله: ((لا يُريدُ أهلَ المدينةِ بسوءٍ إلاّ أذَابَهُ اللّهُ في النَّار ذَوْبَ الرَّصَاص، أو ذَوْبَ المِلْحِ في الماء))

أيا ساكني أكنافَ طيبةَ كلِّكُمْ إلى القلبِ من أجلِ الحبيبِ حَبيبُ

العاشر: من بَواعِث السَّكِينَة في المدينة، الخَيْريّةُ في سُكْناها، الواردةُ في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى، من قوله ﷺ : ((المدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعْلَمون))، ويُمْكن كَشْفُ دِلالةِ الخيّرية في فضْل المدينة بالرجوع إلى وُجُوه كلمة (خَيْر) ومَدْلُولها في الذِّكْر الحكيم، قال أهل اللُّغة كالرَّاغِب رحمه الله في معنى (الخَيْر):

(هو ما يَرْغَبُ فيه كُلُّ الناسِ من أصْحَابِ الفِطَرِ السَّلِيمةِ، كالعَقْلِ والفَضْلِ والعدْلِ والأشْياءِ النَّافِعة كالمال).

وعند قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ آل عمران:١٥ .

ذهب شيْخُ المُفَسِّرين الإمام الطَّبَرِيّ رحمه الله إلى أن مَعْنى الخيْر العَمَلُ الصَّالِحُ، الذي من ثِمَارِه الحَياةُ الطَّيِّبَة (السَّكِينة)، ثم قال:

(الصحيح أن الحياة الطيِّبة تَشْمل هذا كلَّه، تشمل وجوه الراحة من أي جِهَةٍ كانت كالرِّزْق الحلال الطيِّب، والقَناعة والسعادة والعملَ بالطاعة والانْشِراح بها).

وقال ابن فارِس في مُعْجَم مَقاييس اللُّغة:

(الخاء والياء والراء أصله العَطْف والميْل، ... فالخَير: خِلافُ الشّرّ، لأنَّ كلَّ أحدٍ يَمِيلُ إليه ويَعطِف على صاحبه) اهـ، فجعل

اللّه من خصائص المدينة العطْف والميل إلي ما فيها من الفضْل وما يَنْفع الإنسانَ في دينه وآخرته.

ويطلق الخير ويراد به الأفضلية، وأن هذا أفضل من هذا، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ البقرة: ١٩٧.

وإذا كانتْ كلُّ هذه المعاني يَحْتَمِلُها قوله ﷺ : ((والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعْلَمُون))، فلَدُخولُ سَكِينةِ المدينةِ وطُمَأْنينتِها ضِمْنَ كِفّةِ الخيرِ من بابِ أولى وأحْرى.

بل ذهب بعضُ أهلِ العِلْمِ إلى معنىً لَطِيفٍ في الحديث قد يَصْدُقُ على بعض، فيه تَبْكِيتُ وتَوْبيخُ الرّاغِبين عن سُكْنى المدينة لرَخَاء غيرها، أنهم ما رَغِبُوا عنها إلى غيرها إلا جهْلًا وتَمَنِّياً للخَيْر دون السَّعْي الحَقِيقي إليه، قال الإمام الطِّيبي رحمه اللّه في شرحه على مِشْكاة المَصَابيح:

(الذي يَقْتَضِيه هذا المَقَام أن يُنَزَّل قولُه ﷺ : ((لو كانوا يَعْلمون)) مَنْزِلَة اللَّازِم لتَنْتَفِي عنْهم المعْرِفَةُ بالكُلِّيّة ولو ذَهَبَ مع ذلك إلى التَّمَني لكان أبْلغَ لأنَّ التَّمَني طلَبُ ما لا يُمْكنُ حُصوله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أي لَيْتَهم كانوا من أهْل العلم تَغْلِيظاً وتَشْديدا).

الحادي عشر: تذُكرُ أماكِنِ الحبيب ﷺ لاشَكّ أنها تَبْعَثُ جبِلَّةً وعادةً على الاشْتِياق له ﷺ ، الذي يُثْمِر تلك السَّكِينة، قال بعضهم:

قُرْبُ الدِّيارِ يَزِيدُ شَوْقَ الوَالِه[1]	لاسيَّما إنْ لاحَ نُورُ جَمَالِـهِ
أو بشّرَ الحـــادِي بأنْ لاحَ النَّقَا	وبَدتْ على بُعْدٍ رُؤُوسُ جِبَالِهِ
فهُنَـاكَ عِيلَ الصبْرُ من ذِي صَبْوةٍ	وبَدا الذي يُخْفِيهِ مِنْ أَحْوالِـهِ

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله من حديث أنسٍ ﷺ : أَن النَّبي ﷺ : ((كَانَ إذا قَدِم من سفرٍ فَنظَر إِلَى جُدْران الْمَدِينَة أوضعَ - أسْرع - نَاقَتَه وَإِن كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرّكَها من حُبّها)).

وفي التاريخ الصَّغِير للإمام البُخاريّ رحمه الله، وتاريخ دمشْق، وذكر الإمام الذَّهَبيُّ رحمه الله في سِيَرِ أعلام النبلاء سندا آخرَ لها صححه بعض العلماء:

---

(١) الوالِهُ: الحَزِين النَّاهِدُ لحَبِيبه.

(أن بلالا لم يُؤَذِّنْ لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ ، وسَكَنَ الشَّام، فلما قَدِم عمرُ الشامَ، سَأل المسلمون عُمَرَ أن يَسْأل لهم بلالا يُؤَذِّن لهم، فسأله، فأذّن يوما، فلم يُرَ يومٌ كانَ أكْثرَ باكيا من يومئذٍ، ذكرًا منهم للنَّبِيّ ﷺ) اهـ.

وعند الإمام الذَّهَبي في تاريخ الإسلام، وابنِ سَعْدٍ رحمه الله في الطَّبقات، ويورِدُه المؤرّخون للمدينة ومنهم الإمام السَّمْهُودي رحمه الله تعالى في خُلاصة الوفا أنه: (... لما أمر الوليدُ بنُ عبد الملك بهَدْم تلك الحُجُر، لإضافتها إلى المسجد النبوي، مارُئِي يومٌ كانَ أكثرَ باكياً من ذلك اليوم، يقول ابنُ المسيب رحمه الله: والله لوددْتُ أنهم تركُوها على حالِها، يَنْشَأُ ناشِئُ أهْلِ المدينة، ويَقْدَمُ القادِمُ من الآفَاق، فيَرى ما اكْتَفى به رسول الله ﷺ في حَياتِه، فيكون ذلك مما يَزْهِّدُ النّاسَ في التَّكاثُرِ والتَّفَاخِر وقد ألْهَاهُم التَّكَاثر.

وهذا جبلٌ، لم يزل حتى اليوم محَباً ومحبوباً شامخا، لم تَثْنِ له قناة أنَّى كنتَ في المدينة تُبْصِره، ويبْدو لك، ليُذَكِّرَك بقصةِ توافقٍ وتَنَاغُمٍ بين الجمادات في أصْلبِ شيءٍ منها وهو الحِجَارة، وبين الحبيب ﷺ ، إنه جبل أُحُد:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الصحيحين من حديث أبي حُمَيْدٍ السَّاعِديّ ﷺ : أقبلْنا مع النبي ﷺ من غزْوة تبوُك حتى إذا أشْرَفْنا على المدينة قال: ((هذه طابَة، وهذا أُحُدٌ جبلٌ يُحِبُنا ونُحِبُّه))، قال الإمام النَّوَوِيّ رحمه الله:

(الصحيح المُخْتار أنَّ معْناه أنَّ أُحُداً يُحِبُنا حقِيقةً جعَل الله تعالى فيه تَمْييزا يُحِبُّ به كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٧٤ . وكما حنّ الجِذْعُ اليَابس، وكما سبّحَ الحَصَى، وكما فرّ الحَجَرُ بثوْب موسى ﷺ، وكما قال نبينا ﷺ: ((إني لأعْرف حَجَرًا بمكة كان يُسلّم عليّ))، وكما دعا الشَّجَرتين المُفْتَرقتَين فاجتَمَعَتا، وكما رَجَف الجبل ـ لعله أحُدٌ ـ فقال: ((اسْكُن أحد، فليس عليك إلا نبي أو صِدّيق)) ...الحديث، وهذا وما أشبهه شواهد لما اخترناه واختاره المحققون في معنى الحديث وأنَّ أُحُدًا يُحِبُنا حقيقةً، وقيل: المُراد يُحبُنا أهْلُه فحذَف المضافَ وأقام المُضافَ إليه مُقامَه والله أعلم). اهـ

قال الدكتور صالح الرفاعي حفظه الله:

(ويؤيد ما ذهب إليه الإمام النَّوَوِيّ وغيرُه مِنْ حَمْلِ الحُبِّ على الحقيقة، ما رواه الإمام البُخاريُّ وغيرُه عن أنسٍ ﷺ أنه حدّثهم: أن النَّبيَّ ﷺ صَعد أحُدا وأبو بكر وعُمر وعثمانُ فرجَف بهم فقال: ((اثْبُتْ أُحُد فإنما عليك نبي وصِدّيقٌ وشهيدان))، فالنَّبيُّ ﷺ خاطَبَ أُحُداً مُخَاطَبَةَ مَنْ يَعْقِل).

وهذا الانْسِجَام والتَّوافُق والتَّعَاوُن والتَّصَادُقُ بين البَشَر والجَمادات إنما هو وفْقَ قانون تسْخِير الله ما في الأرض جميعا لبني الإنسان، وإرادتِه في قهْره سبحانه الجَمادات في أخْشَن وأصْلب شيءٍ منها، وهو الحجارة على الإقْرار بعبودية الله سبحانه وتعالى، والإذْعان لأمْرِه بالتَّسْبِيح له جَلّ جَلالُه وتَقَدَّسَتْ أسْماؤُه، فيَعيش معها في كوْنٍ مَأْنُوس صَدِيقٍ وَدُود، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر: ٢١ .

أخي الزائرَ والمجاور... فإذا كنْتَ في طيْبة، فأعْط قلْبَك من التَّذَكّر لتَظْفَر من السَّكِينة بحظٍ وافِر، هنا المِحْرابُ... حيث كان يُصلِي فيه من أُنْزل عليه الكتاب، هنا المِنْبر... فتذكّر

يوم كان يَرْقاهُ صاحِبُ الجَبين الأزْهر، هنا المسجد فالشَّوْقُ يَتَجدد إذا علم أنه مصلى سيّدنا محمد ﷺ ، هنا قَبْره ... وهنا رَوْضَةٌ فَيْحَاء، يَرْقُد بها من جَاء بالشَّرِيعةِ الغَرَّاء، صلوات الله وسلامه عليه، هنا أُحُد... جبلٌ يُحِبُنا ونُحِبُه، وهنا قُبَاء يُؤْنِسُنا قُرْبُه.

المدينةُ هي مَحَطُّ مَوْكِبِ النُّبُوّة، وبها كان للإسلام قُوّة، منها سَطَعَتْ شَمْس السُنّة، وفيها تمَّتْ المِنَّة... هي المدينة التي نَصرتْ المُختار، بسُيوف الأنصار... بها حَكَم الشيخان... ووُلِد السِّبْطان... وعاش السَّعْدان... وتَرَعْرَعَ الزَّيْدَان... وأنْشَدَ الشَّاعِران كَعْبٌ وحَسّان... إذا دَخَلْتَ المدينة فتذكّرْ صاحِبَ المِلّةِ السَّمْحَاء والطَّرِيقةِ البَيْضاء... هنا مَسْكَنُه ومَنامُه، وممْشَاهُ وقِيامُه، ورُمْحُه وحُسَامُه، وشَرَابه وطعامُه... من المدينة خرَج لبَدْرٍ بجنودِه... وزَحَف إلى أُحُدٍ في حُشودِه... من المدينة بَعَث للملوك رسائِلَه، وعلَّم الناس فضائلَه... هي بيْتُ ضيافتِه، ودار خِلافَته، في كل مكانٍ منها له ذكْرَيات، وفي كل مَوْضِعٍ له علامات...

يقول الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله في كتابه التراويح مائة عام في المسجد النبوي:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(... فيقوم الإمام في الرَّوْضَة الشَّرِيفة في مُصلَّى رسولِ الله ﷺ، فإذا بدأ الصلاة سادَ شُعورٌ لا يُمْكن وصْفُه ولا تَصْويره، من جَلالٍ وإجْلالٍ ورَغْبَة ورَهْبة، وتلاحَقَ في الذِّهْن الماضي المُشْرِقُ للمسجد المبارك، والآثارُ العَطِرَة لِلروضةِ المطَهّرَة، وتَراءَتْ صُوَر المصلين عَبْرَ القرونِ الماضية، وأحْسَسْتَ بخيوطٍ من الإشْعاعِ تَرْبِطُكَ بالسلف، وهَبَّاتٍ من نَسِيمِ الرَّحْمةِ تُبَلِّلُ جَفَافَ القلوب، وتُحْيِي مواتَه، وتَمَسُّ شِغَافَه، فتُذْكي شُعورَه، وتوقظُ انتباهَه، وتَملُك زِمَامه، فإذا قرأَ الإمام ورَتّلَ اجْتَذَبَ المَسَامِعَ واسْتَصْغى الأفْئِدة...).

الثاني عشر: من أسباب سَكِينةِ المدينة، أنّ المؤمن إنْ مات في المدينة فازَ بمنْزِلةٍ ومَرْتَبةٍ عظيمة عند الله تعالى، وهي شَفَاعةُ رسولِ الله ﷺ، وشَهَادتُه للميِّت فيها بالطَّاعَة والعِبادة لله عز وجل، وهذا لا يوجد في مكانٍ، ولا بُقْعةٍ سوى المدينة.

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((من اسْتَطاع أنْ يَمُوت في المدينة فلْيفْعلْ، فإنِّي أشْفَعُ لمن مات بها)) رواه الإمام أحمد، والتِّرْمذي، وابن ماجَه، وابن حِبَّان، والبَيْهَقيُّ في الشُّعَب، رحمة الله على الجميع، وصَحّحَه الدكتور الرفاعي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولحديث صُمَيْتة - وهي امرأةٌ من بني لَيْثِ بن بَكْرٍ - كانت في حِجْر النَّبيّ ﷺ قالتْ: سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول:((من اسْتطاع أن يَمُوت بالمدينة فلْيَمُت، فإنه من مات بالمدينة كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة)) [1] .

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله أنه كان من دعاء الفاروق عُمر ﷺ : ((اللهم إنِّي أسألُك شَهَادةً في سَبيلك ومَوْتاً في بَلَدِ رسُولك)).

فاتَّفَقَ له أنْ ضَرَبَهُ الشَّقِيُّ أبو لُؤْلُؤَة فَيْرُوز المَجُوسِي، وهو قائمٌ يُصَلّي في مِحْراب النَّبيّ ﷺ بالمسلمين صلاة الصُّبْح واسْتجابَ الله له هذا الدعاء، وجَمَع له بين هذين الأمْرين الشَّهَادةِ له بالطَّاعَة عند الله، والمَوْتِ في بَلَدِ رسول الله ﷺ، وهذا عَزِيزٌ جدا، ولكنَّ اللهَ كريمٌ لَطِيفٌ بما يشاء تبارك وتعالى.

الثالث عشر: مما يبعث على السَّكِينَة: القُرْبُ من مواطِن

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، والطَّبَرَانيُّ في الكبير، وابن حبان، والبَزَّارُ وغيرهم، وصحَّحه الرهاوي في بحثه.

البَرَكة في المدينة، ومن تَعاريف عُلماء اللُّغة والمَعاجِم للبَرَكَة نَجِدُ هم يعرفونها بأنها : الزيادةُ في الخيْر والأجرِ وكلِّ ما يَحْتَاجُه العبد في دينه ودنياه بسبب ذاتٍ مُبارَكةٍ أو زَمانٍ مُبارَكٍ.

وبعضُهم على أنَّ البرَكةَ هي: أن تَعْمَل في الزمن القَصِير ما لا يَعْمَلُهُ غيْرك في الزمن الكثير، وهذا مُتَحَقِّقٌ- بحمد الله- في بَرَكات المدينة.

فوادي العقيق وهو أحَدُ أوديةِ المدينة المشهورَة، وهو يمَرُ بالجهة الغربيَّة منها، وهو وادٍ مباركٌ.

وفي صحيح الإمام البُخارِّي عن ابن عباسٍ قال: سمعْتُ عمرَ بن الخطاب ﷺ يقول: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ وهو بوادي العَقِيق يقول: ((أتانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِن رَبِّي عَزَّ وجَلَّ، فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك، وقلْ: عُمْرَةٌ في حَجّة)).

كَرِّرْ بِسَمْعِي حديثَ النَّازِلِين قُبَا ... إنْ كان عَهْدُكَ بالأَحْبابِ قَد قَرُبَا

كَـرِّرْ أحاديثَهم يوماً على أُذُنِي ... فالقلْبُ مني إلى أهْلِ العَقِيقِ صَبَـا

هُـمُ الأَحِبَّةُ لا أَنْسَى حديثَهُمُ ... كمْ قدْ لَقِيتُ بمِصْرٍ بَعدهُمْ وَصَبَـا

والبَركةُ أيضاً في صَاعِها ومُدِّها ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن زيدٍ ﷺ : أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (إنّ إبراهيمَ حرَّمَ مكةَ ودعا لها ، وحَرّمْتُ المدينةَ كما حرَّم إبراهيمُ مكةَ ،ودعَوْتُ لها في مُدّها وصاعِها ، مِثْلَ ما دعا إبراهيمُ عليه السلام لمكة) .

وقد استجابَ اللّه دَعْوته صلَواتُ اللّه وسَلامُه عليه ، فأحَسَّ النَّاسُ قديماً ولم يَزالوا - بحمد الله - حديثًا يَحُسُّونَ بالبَرَكة في مَعيشِتهم، ومُضَاعفةُ الصَّلَواتِ في المسْجد النَّبَويِّ من أسباب البركة في العُمر وفي العمل الصالح.

أخرج الإمام البخاري رحمه الله في الصحيح من حديث أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((صَلاةٌ في مسْجدي هذا خيرٌ من ألْفِ صلاةٍ فيما سواه إلا المسْجد الحرَام)).

الرابع عشر: مما يبعث على السَّكِينَة شُعورُ الزّائرِ والسّاكن في المدينة بالعافية والصِّحَة وعدمِ وُجُودِ الأَوْبِئَةِ التي تُكَدِّرُ خَاطِرَه وتَسْلُبَه لذَّةَ الطَّاعةِ للّه جَلَّ وعلا بعبادتِه في المدينة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيُثْمِرُ إيمانه بهذه الحقيقة (سَكِينَةً) يَحُسُّ بها وتَتَمَلَّكُه طِيلَةَ وُجُودِه في المدينة.

وروى الإمامان البخاري واللفظ له والإمام مسلم رحمهما الله تعالى في صحيحيهما، عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قَالتْ لَمَّا قَدِم رسول الله ﷺ المَدينةَ وُعِك أَبُو بَكرٍ وبلالٌ، قَالت: فَدخلتُ عَليهِما قُلتُ يَا أَبتاهُ كَيف تَجِدُكَ؟ ويَا بِلال كَيف تَجِدُكَ؟، قَالت: وكَان أَبُو بكرٍ إِذا أَخذَتْه الحُمَّى يَقولُ:

كُل امرئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِه والمَوتُ أَدنَى مِن شِراكِ نَعْلِه

وكان بلالٌ إذا أَقلعَتْ عَنه الحُمَّى يَرفع عَقِيرَتَه فيقولُ:

أَلا لَيتَ شِعري هَل أَبِيتَنَّ لَيلةً بِوادٍ وحَولِي إِذْخِرٌ وجَلِيلُ
وهَل أَرِدَنْ يوماً مِياه مِجَنَّةٍ وهَل يَبدُون لِي شَامةٌ وَطَفِيلُ[1]

(١) مِجَنَّةٌ، وشَامَةٌ، وطَفِيلٌ: مواضع بمكة.

إنها سكينة المدينة
جديد وحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قالت عائشة رضي الله عنها: فَجئتُ رسولَ الله ﷺ فَأخبرْتُه فقال: ((اللهُمَّ حَبِّبْ إلينَا المَدينةَ كَحُبِنا مَكةَ أو أشدَّ، اللهم بَارِكْ لنا في صَاعِناوفي مُدِّنا، صَحِّحْهَا لنا، وانْقُل حُمَّاهَا إلى الجُحْفَةِ)).

وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((على أَنْقاب[٢] المدينة ملائكةٌ لا يَدْخلها الطَّاعون ولا الدجال)).

قال الحافظ ابن حَجَر - وهو عند مؤَرِّخ المدينة السَّمْهُودِي - رحمهما الله:

(ولم يقيِّد ذلك بزمن معين، فهذه الحماية مستمرة، وهي خصوصية، اخْتص الله بها عز وجل المدينة).

---

(٢) الأنقاب: الطُّرُق والنِجَاح.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال العَلاّمة ابن الأَثِير رحمه الله تعالى في النِّهاية: (الطاعُون المرض العام والوَباء الذي يَفْسُد له الهواءُ فتَفْسُد به الأمْزجة والأبدان).

الخامس عشر: الترغيب في الصبر على لأوائها وشدتها[1].

لعل من دَواعِي الشعور بالسَّكِينَة في المدينة إيمانَ المؤمن بأنّ الصَّبْر وعدمَ التَّشَكِّي والأدبَ وعدمَ التَّذَمُّر من المنغّصَات والمزْعِجات المكدِّرات بالمدينة.

وهو سببٌ لنَيْل جائزةٍ وبشارة عظِيمة أُخْرويَّة، وهي شفاعة النَّبيّ ﷺ فَيَتَبدّل كَدَرُه وتَضايُقُه فرحاً وسُرورًا وسَكِينة ورضًا، كل ذلك حبّاً للمدينة واحتسابا للأجر عند الله عز وجل، مستسلما منقادا لله عزوجل بفعل أوامره وترك نواهيه، وهذا معنى قوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري في صحيح الإمام

---

(١) قال في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي قاري رحمه الله: (اللَّأْوَاء في اللغة: الشّدة، وعَطْفُ الشّدة عليها للتفسير، أو للتأكيد، أو أن اللأواء المُراد بها: ضيقُ المعيشة وتَعَسُّر الكسب، والشدة ما يُصيب الإنسانَ في بدنه بسبب شدة الحر والبرد ونحو ذلك).

إنها سكينة المدينة

مسلم رحمه الله عَنْ أَبِى سَعِيدٍ مَوْلَى الْمَهْرِىِّ أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِىَّ لَيَالِىَ الْحَرَّةِ فَاسْتَشَارَهُ فِى الْجَلاَءِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ وَأَخْبَرَهُ أَنْ لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلأْوَائِهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لاَ آمُرُكَ بِذَلِكَ إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((لاَ يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا)).

وقد فهم الإمام ملا على قاري رحمه الله تعالى من الحديث أن الصبر على مساكنة أهل البدع في المدينة يدخل في (لأوائها)، قال في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:

(... ومن صبر على ضيق عيشها وفتنة من يسكنها من أهل البدع وتسلطهم، ((كنت له شهيدا)) أي: لطاعته، و((شفيعا)) لمعصيته يوم القيامة، ويحتمل أن تكون ((أو)) بمعنى الواو أي: شهيدا وشفيعا له يوم القيامة) إهـ.

السادس عشر: مما يبعث على تلك السَّكِينَة في المدينة الصلاة في المسجدين المؤسَّسَيْن على التقوى من أول يوم، وهما مسجد قُبَاء والمسجدُ النبوي، وانعقاد الأجر العظيم المُضَاعف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على الصلاة فيهما، ولاشك أن ذلك مما يبْعث على سَكِينة المدينة، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يونس: ٥٨.

قال الإمام ابن جزي رحمه الله في التسهيل: (والفضْلُ والرحمةُ عُمُوم).

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى عند هذه الآية: (وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته، لأن ذلك مما يوجب انْبساط النَّفْس ونَشَاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما).

(لطيفة): حاول الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله بعقْليّة الفقيه المستنبط لأسْرار التشريع وحِكَمه الإيمانيّة، حاول تلمسَ الحكمةِ من التَّطهرِ في البيتِ لإتيان مسجدِ قُباء، في قوله ﷺ الذي رواه الإمام ابن ماجة رحمه الله وغيره وصححه الشيخ الألباني رحمه الله من حديث أُسَيْد بن ظُهير الأنصاري، وسهل بن حُنيف رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال - وهذا لفظ الإمام ابن ماجة في سننه -: ((من تَطَهّر في بيته ثم أتى مسجد قُباء

فصلى فيه صلاة كان له كأجْر عُمرة))، فقال في تتمة أضواء البيان:

(**وهنا سؤالٌ يفرض نفسه** : لماذا كان مسجد قُباء دون غيره، ولماذا اشتُرط التَّطَهّر في بيته لا من عند المسجد؟ ولقد تَطَلّبْتُ ذلك طويلاً فلم أقف على قول فيه، ثم بدا لي من واقع تاريخه وارتباطه بواقع المسلمين والمسجد الحرام أن مسجد قُباء له ارتباطاتٌ عديدةٌ بالمسجد الحرام:

أولاً: من حيث الزمنُ، فهو أسبق من مسجد المدينة.

ومن حيث الأَوَّلِيّة النِّسْبِيّة، فالمسجد الحرام أولُ بيت وُضع للناس، ومسجد قباء أول مسجد بناه المسلمون.

والمسجد الحرام بناه الخليل، ومسجد قباء بناه خاتم المرسلين.

والمسجد الحرام كان مكانه باختيار من الله، وشبيه به مكان مسجد قباء.

ومن حيث الموضوعيّة فالمسجد الحرام مأمَنٌ وموْئِلٌ للعاكِف والباد، ومسجد قباء مأمنٌ ومسكنٌ وموئلٌ للمهاجرين الأولين ولأهل قباء فكان للصلاة فيه شِدّةُ ارْتِباطٍ بالمسجد الحرام، تَجْعل المُتَطَهّر في بيته والقاصِدَ إليه للصلاة فيه كأجْر عمرة.

ولو قيل: إن اشتراط التطهير في بيته لا عند المسجد شدّةُ عنايةٍ به أولاً، وتَمْحِيصُ القَصْد إليه ثانياً، وتشبيهاً أو قريباً بالفعل من اشتراط الإحرام للعمرة من الحل، لا من عند البيت في العمرة الحقيقية، لما كان بعيداً، فالتطهر من بيته والذهاب إلى قباء للصلاة فيه كالإحرام من الحل والدخول في الحرم للطواف والسعي، كما فيه تعويضُ المهاجرين عما فاتَهُم من جوار البيت الحرام قبل الفتح، والله تعالى أعلم).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجوهرة الثالثة

كيف نحافظ على (سَكينة المدينة) ونتخلق بآداب ساكنها حقاً وصِدْقاً .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجوهرة الثالثة : كيف نحافظ على سَكِينة المدينة ونتخلق بآداب ساكنها حقاً وصدقاً؟

١- باتباع الهَدْي الحق، الصراطِ المستقيم، طريقِ الفِرْقة الناجية والطائفة المنصورة، المَحَجّةِ البيضاء، التي تركنا عليها رسول الله ﷺ ، الكتابِ والسنةِ في كل شؤون الحياة في الاعتقاد والعبادة والسلوك والتَّصَوّر والتربية والتزكية والتفقه والدعوة وذلك لا طريق إليه إلا بتَعَلّم الدين من الكتاب والسنة.

٢- الحذر من أن نؤذِي رسولَ الله ﷺ في المدينة، فإنه ما مات حتى طهّرها وترَكَها خاليةً من الحدَث (البدَع الاعْتقادية والتَّعبُّدية والمعاصي عُموما)، وتَرَكها أمانةً عند أمَّتِه، فمن أحْدث فيها حدَثا ، فلا غَرْو أنَّه مُتَوَعَدٌ بلعْنةِ الله والملائكة والنَّاسِ أجمعين، ويحْبُوطِ أعْماله سَواءٌ أكانَتْ فَرْضا أم نَفْلا، في الصحيحين من حديث أنس وأبي هريرة، ومن حديث أمير المؤمنين أبي الحسن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه عن النبي ﷺ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال: ((المدينة حرم من عَيْر إلى ثور[1] فمن أحْدث فيها حَدَثاً أو آوى مُحْدِثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صَرْفٌ ولا عَدْل...))، فما أعْظَم بَقَاء المدينة بيئةً إيمانيّةً مِثاليّةً، تَدْعُو إلى السُّنّة الصَّافِية النَّقِيّة بلسان حالِها، وحالِ أهلها الممْتَثِلين دينَ الإسْلام واقعاً وتَطْبيقاً.

٣- بالإحسان إلى جيران المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، في دعوتهم وتعليمهم وتأْمِينهم من بوائقِنا وشُرورنا، وفي احترام أموالهم وأعراضهم، وفي الحُنُوِّ والرحمة والشفقة على أيتامهم وفقرائهم وتَسْهِيل أمُورِ مَعاشهم، وتَبْجِيل واحْتِرام ما تَبَقَّى من آل بيتِ النَّبيّ ﷺ في المدينة، بتقديمهم في المجالِس وإجلالهم وإظْهَار الفَرَحِ بالمُتَمَسِّكِ منهم بالدين ودعوْة وسَتْرِ المُقَصِّر منهم في حق

---

(١) ثَوْر وعَيْر: جبلان مشهوران يحُدان المدينة من جهة الشمال والجنوب، فأما عَيْر فحدودها من جهة الجنوب، على يمين الداخل إلى المدينة من طريق مكة السريع (طريق الهجرة) حين يكون على يساره مسجد الميقات، وأما ثَوْر فهو جُبَيْل صغير أسود في مدخل مزارع (الخليل) حين يكون جبل أحد خلفه ومسلحة المياه على يمينه فيتعدّى المسلحة قليلا فيكون الجبل على يمينه أيضا، كان معروفا عند أهل المدينة بجبل (الدّقّاقات) هذا ما أخذتُه وقُوفاً عليه من بعض مشايخنا بالمدينة.

اللّه، ونشْر فضْل القائم منهم بالدِّين والْتِزام شَرِيعةِ جَدِّهِ صلواتُ اللّه وسلامه وبركاتُه عليهم أجمعين.

في تاريخ ابن أبي خَيْثَمة رحمه اللّه تعالى- وقال الدكتور الرفاعي: (إسناده صحيح ورجال سنده كلّهم ثقات) - عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: ((المدينة مُهاجَري، ومضجعي، فيها بيتي، وحق على أمتي حفظ جيراني)).

٤- بشد الرِّحالِ إلى مسجدها، ودوامِ تعهدِ زيارته للصلاة فيه.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: ((لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاَّ إلى ثلاثةِ مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى)) رواه البخاري ومسلم.

٥- بشكر اللّه على نعمة زيارةِ مسجده والصلاةِ في روضته، والتشرفِ بالسلام عليه صلوات اللّه وسلامه عليه، وشكره على نعمة اختياره لك من بين المؤمنين للقيام بحق الجوارِ الطيبِ للطيبِ في طيبة الطيبة، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧.

وحقيقة الشكر عند العلماء: أن تُضمر في قلبك الفرح والغبطة والسرور بنعم الله وفضله عليك بتسهيل زيارة المدينة أو الجوار فيها، وببذل الجهد في العمل بمرضاته ومَحَابِّه والبُعْد عن ما يُغْضِبه سبحانه وتعالى من ذنوبٍ وسيّئاتِ الجوارح والقلب واللسان، فلا يراك اللّهُ جَلّ جلالُه إلا في ما يرضيه سبحانه وتعالى في هذه المدينة الشريفة.

٦- التأدُّب بآداب الزيارة الشرعيّة: والحذرُ من رفْع الصَّوْتِ - ولو بالسلام- عند قبره ﷺ.

قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله ومتَّعَ به في فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها عن رفع الصوت: (...فإنَّ ذلك غيرُ سائغٍ، لأنَّ الله أدَّب المؤمنين لَمَّا كان النَّبيُّ ﷺ بين أظهرهم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ ﴾الحجرات: ٢،٣. وهو ﷺ مُحترَمٌ في حياتِه وبعد وفاتِه) اهـ.

٧. الحرص على السنة وإحياء السُّنَن أثْنَاء وجودِك في مدينة صاحب السُّنّة صلوات الله وسلامه عليه، والتزامها في المأكل والمشرب والركوب والنوم، وفي كل شيء كان للرسول ﷺ فيه فعل أو قول أو إقرار أو تَرْك، لِأَنَّ التَّرْكَ أَخْفَى، إذْ هُوَ أَمْرٌ عَدَمِيٌّ بِخِلَافِ الْفِعْلِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ وُجُودِيٌّ ، والشيخ الأمين رحمه الله في المذكرة قال:

(ومعلوم أن الترك قصْداً فِعْلٌ).

وكان هذا الحرص على السنة مقياسٌ في التَّعَبُّدِ عند الصَّحَابة الكِرام رضْوانُ الله عليهم أجمعين.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله، في قضيّة جَمْع القرآن، قال بعض الصحابة: كيف نفْعَل شيئاً لم يفعلْه رسولُ الله ﷺ !!!.

أخي القارئ الكريم... ويا معاشر الأحبة الموقّرين لرسول الله ﷺ... ما أحوجنا في كثيرٍ من تَدَيُّنِنَا اليوم لإحْياء هذه القاعدة في تَعَبُّدَاتِنا لا نَفْعَلُ شيئًا تركَه رسول الله ﷺ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨ ينبغي لساكن المدينة وزائرها أن يُعرف أثرُ زيارته وسكناه في حياته العملية ، بحُسْن سِيرته ،وصَفَاء سَرِيرته ويطهِّر قلبَه من ذنوب ومعاصي القلوب، فلا دَغَل ولا حِقْد ولا حَسَد ولا قَطِيعةَ لأحد من المؤمنين في مدينة الإسلام.

يحيا في المدينة مدة، فتؤثِّرُ زيارته في معاملته مع الناس ، لأن موظفي المدينة وتجارها وبائعي المحلات هم أجْدَرُ وأوْلى أنْ يَضْرِبوا المَثَل الأعْلى في الرِّفْقِ بالمسلم والحِرْص والأمانةِ على ماله وبدنه وصحته وشُعُورِه ورِضاه، واحترامه وتقديره، فلا يُؤتَى الإسلامُ من قِبَلِهم، ولا يُشَوّهُ ويُسَاءُ الظَّنُ في الدِّين ـ خاصَّةً من المؤلفة قلوبهم المسلمين الجُدُد أو التَّائِبين المُتَمَسِّكين حديثا ـ بسبب سُوءِ معاملاتهم.

ساكنو المدينة لا يَصْلُح إلا أن يكونوا أوفياءَ لها أمَنَاءَ عليها، غَيَارَى على حُرْمَتِها بالأمْر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وبالتَّمَيُّزِ في كل شؤون حياتهم، وبالتمسُّكِ بشريعة من عاش ليُؤَسِّس لها أطْهرَ بُقْعَةٍ صلوات الله وسلامه عليه، فلا يُدَنّسُوها بقَذَرِ المُحَرّمات، ونَتَنِ القَنَوات الفضائية، ودَنَسِ المخالفات والبدع والخرافات، لأنهم دائما مُسْتَشْعِرين أنهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في أرْضٍ طَهَّرَها رسولُ اللّه وصحابتُه الكرام، وعاشُوا فيها لا يُسْمَع ولا يُرى فيها إلا الطُّهْرَ والتُّقَى، فلا واللّه لا يقبل المحِبُّ لرسول اللّه ﷺ المُوَقِّرُ له إلا اقْتِفاءَ آثارهم وسلوكَ منهاجِهم، والسيرَ على طريقتهم في المدينة النبوية.

٩- بالصبر على لأوائها، فمن صَبَر على لأْوائها وبلْواها، وغِمَارِ شِدَتِها وغَلْوائِها نال السُّعود، وتحقَّقَ له الفَضْلَ المَوْعُود، ألا وهو شَفَاعَةُ صاحِبِ المَقَامِ المَحْمُود والحَوْضِ المَوْرُود.

١٠- بإظهار صِدْق المُؤَاخَاةِ وتَطْبِيقِها على الواقع، فإن المدينة امتازَتْ بهذه الخِصِّيصة وهي مؤاخاة النَّبِيّ ﷺ بين الصحابة المهاجرين والأنصار، حتى ذَهَب بعض العلماء ومنهم: شيْخ الإسلام ابن تيمية وابنُ القيِّم وابن كَثِير رحمهم اللّه، إلى عدم وقوع المؤاخاة بمكة، وأن المؤاخاة ما كانت إلا في المدينة.

فإذا كانت المدينةُ امتازت بهذه المؤاخاة وتقويةِ أواصرِ الأخوّةِ وتحقيقِ معاني الموالاة، لأنها من أعظم ما يُحقق السَّكِينَة والأمْنَ النَّفْسي والاجْتماعي، فإننا لازلنا في المدينة - بحمد اللّه

حتى اليوم - نعيشُ في شيءٍ من حقيقة ذِكْراها العطِرة، فلم تزلْ باقيةً في أهل المدينة ولا عَجَب.

إن في مدينة الحبيب ﷺ لبقيةً من أثَرِ تلك المؤاخاة في المجتمع الذي أنْشَأَتْه تربيتُه المثلى ، ممتثلين أمرَه ﷺ : ((وكونوا عباد الله إخوانًا)) متفق عليه.

فكأنَّ مجتمعَ المدينةِ حتى اليوم صورةٌ للأخوّةِ التي أُرْسِيتْ فيها قيمةُ الإنسان، على أساس من الأخلاق دون الأعراق.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩.

أوليس في هذا السَّلامِ والطُّمَأْنِينَة والأخوةِ الضالَّةُ التي يُفَتِّش عنها الفَلاسِفَةُ والمُفَكِّرون، ويَتَلَهَّفُ إليها الحَزَانى والمُعَذَّبون...؟ فلَمْ يَجِدوها حاضِرةً إلا في رواياتهم وأحلامهم عن المدينة الفاضلة؟

أجلْ وربي، وسيظلونَ عبثا يُفتشون، وعبثا يَكْدحون، حتى يَعرفوا طريقَهم إلى روحِ هذه البلدةِ المصفّاة المطهَّرة وهي الإيمان بنبوة ورسالة هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وإذا كانتْ البَشَريَّةُ لم تَعْهَدْ مؤاخاةً للتكافلِ الاجتماعيِّ، وتقويةِ الروابطِ بين الناس، كما شهدتْه البشريةُ - إذا اسْتَقْرَأَتْ التأريخَ - في المؤاخاة على أرض المدينة بين المهاجرين والأنصار، بيدِ النَّبيّ ﷺ فإنه إلى عهدٍ قريب، وقبلَ كثرةِ الفنادق في المدينة وانتشارِها - وقد أدركتُه صغيرا ولو اسْتَنْطَقْنا كبارَ السِّنّ لرَوَوْا منه ما يُعْجِبُ ويُطْرِب - كانت بيوتُ أهلِ المدينةِ مُشْرَعَةً أمامَ الزائرين، فيختارُ منها الزائرُ الغريبُ من يَنْزلُ عندهم ويَؤوونَه ويُحْسِنون إليه، مغتبطين اختيارَه لهم من بين بيوتاتِ المدينة، في بساطةٍ وطُمأنينةٍ وراحةٍ وحُبُور، وعِفّةٍ عن الطَّمَعِ في ما عند هذا الزَّائرِ إلى حُبٍ وإيثارٍ للآخرةِ وما عند الله من الأُجُور.

رزقنا اللّهُ جميعاً في المدينة حسنَ الأدب، وغفر لنا فيها زائرين ومجاورين جميعاً الخطأ والزلل، وتجاوز عنا التقصير في حقها جميعاً بعفوه ومغفرته.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وختاما... فإن سُلْطانَ هذه المدينةِ المُنَوّرةِ النّبويّة على القلوب المؤمنةِ، لا يزال يُسيطرُ على نفوسِ المسلمين، في شَتّى مشارقِ الأرضِ ومغارِبها، لن يَنْقَطعَ أثرُها في وجودِهم، ولن يَفْتُر إيحاؤُها إلى قلوبهم بمشيئة الله تعالى.

يا أهلَ طيبةَ قد سكنْتُم أضلُعي ... فوادُكم نامٍ وشوقي مُحْكَمُ

لا غَرْوَ أنْ أَبْغِي هَواكُمْ مُنْشِداً ... مِنْ أجْلِ عينٍ أَلْفُ عَيْنٍ تَكْرُمُ

والحمْدُ للّه ربّ العالمين، وصلّى اللّه وسلّم على سيّدِ الأوّلين والآخِرين، وعلى آله وأصحابه والتّابعين، ومَنْ تَبعَهم بإحْسانٍ إلى يوم الدين.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥
مع منهج البحث	٧
الجواهر الثلاث	٨
الجوهرة الأولى	١١
الأماكن التي وردت بها لفظ (السكينة) في الذكر الحكيم	١٤
الأماكن التي وردت بها لفظ (السكينة) في السنة الشريفة	١٧
مرادفات السكينة في القرآن	١٨
الجوهرة الثانية	٢١
الجوهرة الثالثة	٦٧
الخاتمة	٧٨
الفهرس	٧٩

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE